ظاهرة الرواية الجديدة في الجزائر
مساءلات الواقع والكتابة
رواية فوضى الحواس لـ: أحلام مستغانمي
-عينة -

الأستاذ : حسان راشدي
جامعة سطيف
الجزائر

" الذي يكتب لا يتكلم أنا كاتب .... "
عبد الحميد بن هدوقة
(غدا يوم جديد ص 265)

يعتبر عمر التجربة الروائية العربية في الجزائر ، قصيرا نسبيا قياسا بالتجربة الروائية في بعض الدول العربية (1) . كما أنها ظهرت - الرواية العربية في الجزائر - متأخرة مقارنة بالكتابات الأدبية الأخرى وهي " الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي ، القصة القصيرة والمسرحية " (2)

ولقد أجمع أغلب النقاد والباحثين في الأدب الجزائري عامة والرواية بخاصة أن عتبة سبعينيات القرن الماضي هي " البداية الفعلية لرواية جزائرية ناضجة بلسان الأمة : اللغة العربية " (3) ولهذا يتم التاريخ للروية العربية الجزائرية بصدور رواية ريح الجنوب " سنة 1970 للأديب الراحل عبد الحميد بن هدوقة .

على أن وضع مثل هذا الحد التاريخي لمسار الرواية الجزائرية ، لا يعني أن نص " ريح الجنوب " غير مسبوق بنصوص ظهرت قبل هذه الفترة إذ نعثر على محاولات : روائية " (4) ولو أنها محدودة مثل " غادة أم القرى(1947) ل: الأديب الشهيد رضا حوحو . "الطالب المنكوب ": (1951) ل: عبد الحميد الشافعي ، " الحريق " (1957) ل: نور الدين بوجدرة وصوت الغرام " (1967) ل: محمد منيع . بيد أن هذه الأعمال تبقى مجرد محاولات قصصية تدرج ضمن ما يمكن أن يطلق عليه بإرهاصات الرواية العربية في الجزائر . فهي و" إن كانت لا تخلو من نفس روائي غير أنها تفتقد الشروط الفنية التى يقتضيها جنس الرواية " (5) .

ومع أن مثل هذا الحكم يقبل النقاش والأخذ والرد كون قضية

اعتبار أن " السبعنيات عقد الرواية الجزائرية وتبلور اتجاهاتها"(13).

غير أن التحولات التي شهدتها البلاد إبان فترة التسعينيات ، كانت بنوعية وقوة غير معهودتين من قبل فكالإعصار المدمر عمت موجة الإرهاب مختلف أقطار البلاد ، وقد كان الفاعل الثقافي الهدف المفضل والمطلوب من لدن هذه القوة الهدامة العمياء . وفي مثل هذا الموقف وجدت الذات الكاتبة نفسها في ملتقى قوى مضادة ومعادية مختلفة بيد أنها تشترك في محاولة تهميش المثقف أو إسكاته على أقل تقدير . وقد تنامي وعي لدى أغلب الكتاب بضرورة أن تكون لهم مكانتهم المميزة في المجتمع وأن يسمع لهم ، وهم لهذا يعانون الأمرين ، تهميشهم من طرف السلطة ومحاربة الإرهاب لهم وهو الوضع الذي جعلهم " أمام توقع على صورته المتأرجحة بين المجهول والمرغوب ، وبين المستحيل الممكن " (14) صورة تجسد جدلية الثقافي والإرهابي أو بين الفعل البناء والفعل الهدام .

وليس من بد من تحول الكتابة الروائية لترتاد آفاقا جديدة علها تفي بمتطلبات الواقع الجديد ، واقع الإرهاب (15) . ولعل أهم مظهر من مظاهر هذا التحول يتجلى في بناء الرواية وإنشائها "(16) تكتسب قيمتها من معمارها الجديد بقدر ما تكتسبها من مضمونها " (17) ومثل هذه الصورة التي تظهر فيها الرواية تلك التي ظهرت فيها الرواية الحديثة (Le nouveau roman) (18) ومن بعدها " الرواية الحديدة (Le nouveau nouveau ro-man)(19) وأخيرا التخييل الحديث(La nouvelle fiction)(20)

ويمكن أن نقف على قاسم مشترك بين هذه الأنواع من الكتابة الروائية وهو أن الكتاب أخذوا : ينشغلون بالبحث والتجريب لطرق جديدة في السرد أكثر من إهتمام بدلالات أعمالهم " (21) وهذا سعيا للتعبير عما يحسونه من إحباط وتمزق لذاتهم وهي " الذات التي تتخذ من " الأنا " الكاتبة مركزا لها"(22)

وفي حالة اللاتوازن التي أخذت يعيشها الروائي أخذ يقنع نفسه بأنه قد فقد كل ما يمكنه من ابداع عمل ذي بناء جدوى وبفقده للثقة في نفسه يفقد الثقة في مجتمعه وأصبح لا يريد من الكتاب أكثرمن أن تسجل حالة التصدع والانفصام التي يعيشها وبهذا غدا عمله في النهاية " ليس معنيا بكتابة مغامرة بل بمغامرة كتابه " (23)

وفيما يتعلق بالمنتوج الروائي الجزائري في فترة التحولات العنيفة والعميقة فترة التسعنيات فلقد كشفت بعض نصوصه جوانب من الكتابات الرواية الحديثة في بناء الخطاب وفي رؤيتها للواقع الاجتماعي ولعله يكمن الحديث عن هذا الملمح من الرواية الجزائرية أو الكتابة الروائية الجديدة في الجزائر من خلال بعض النماذج ومن ذلك رواية فوضى الحواس (24) لـ: أحلام مستغانمي كعينة على ذلك .

1 - المعمار الفني في رواية فوضى الحواس :

إن بنية الخطاب الروائي ل" فوضى الحواس " لا تقدم مادة حكائية منسجمة ومتناسقة مثلما هو مضطرد في السرد القصصي المتعارف عليه . فقد قسمت الكاتبة روايتها إلى مقاطع سردية كبرى وهي خمسة والتي بدورها تضم مقاطع متفاوتة في الطول ،

تفصل بينها نجيمات .

وقد اختارت الكاتبة لعناوين المقاطع الكبرى ألفاظا مبهمة هي على التوالي : بدءا (ص7 - ص 39) ، دوما (ص 41 - 136) طبعا (137 - 196) ، حتما (197 - 236) ، وقطعا (237 - 375).

ومن جانب المحتوى القصصي يمكن لنا أن نقسم المادة الحكائية إلى عالمين قصصيين مختلفين لا يربط بينهما إلا الساردة أو الرواية وما عدا هذا فلا عنصر مشترك بينهما.

إن رواية " فوضى الحواس " مختلفة عن الرواية كما هي عند النقاد التقليديين فهي - مثلها كمثل " ذاكرة الجسد " - نص روائي يضطلع بالسعي إلى تأسيس - أو تخريب - كتابة روائية جديدة مختلفة ويذهب أبعد من هذا عندما يصبح النص في حد ذاته حاملا لمشروع رواية مطلوبة بوساطة ما يتوزعها من أفكار نظرية حول النماذج الروائية الموجودة . وبالكيفية التي يجب أن تتعامل بها الرواية مع واقعها . فهل رواية " فوضى الحواس " رواية " ضد رواية " (الرواية المضادة) (antiroman) ؟ (25)

تأخذ الرواية أو مقطعها الأول " بدءا 9 - 39 " القارئ في أثر حكاية خيالية تقوم الكاتبة وهي الرواية في الوقت نفسه بصياغتها قصة حب وضعت لها عنوان " صاحب المعطف : . والقصة وهي - القصة الإطار - محاولة استبطان لنفسية المرأة التي تقع في شراك الحب بإخلاص والحال أن حبيبها غير مكترث بها أو أنه أمعن في إذلالها . وهو يعود إليها بعد جفوة غير قليلة " وبرغم ذلك غفرت له كل شئ ... كانت سعيدة بهزيمتها ... سعادته " حتما بنصر سريع ... (26) وبهذه العبارات قررت الكتابة إنهاء قصتها .

وقد رضيت عما كتبته على الرغم من أنها لم تع شيئا مما كتبت وليس هذا بالأمر الجلل طالما كما جاء على حد قولها أن : كل

ما يعنيني أن أكتب شيئا ، أي شيئ اكسر به سنين من الصمت(27). وتكشف لنا الكاتبة - الرواية - طريقة عملها في الكتابة ، مصرة على التأكيد على أن لا علاقة لها ببطلة قصتها وإن هذه القصة مجرد محض خيال ، بيد أن كل هذا الإصرار والنفي كان يخبئ ميلا شديدا نحو شخصية الرجل ، الذي أصبح يثير فضول الكاتبة ويتملك عليها أقطار تفكيرها ويستولي على اهتماماتها وتركيزها " وحده ذلك الرجل يعنيني بي فضول ثان لفهمه بي رهان لجعله يخلع ذلك المعطف بي تحد ليس أكثر " (28) .

وهكذا يتحول فعل الكتابة من فعل : مجاني : إلى تجربة ومسؤلية تضع الكاتب أمام شخصياته " قبل هذه التجربة ، لم أكن أتوقع أن تكون الرواية اغتصابا لغويا يرغم فيه الرواي أبطاله على قول ما يشاء ..." (29)

ومثل هذا الموقف يجعل الكتابة تنحو منحى مختلفا وكان لا بد من تغيير مجرى أحداث القصة " صاحب المعطف " ، " و هكذا جلست إلى دفتري ، ورحت أواصل كتابة القصة وكأنني لم أتوقف بالأمس عن كتابتها " (30) . وتختار الكاتبة نهاية ثانية لقصتها ترضيها هذه المرة وهي اتفاق الحبيبين على اللقاء عند سينما " أولمبيك " قبل عرض الساعة الرابعة " (31) .

غير أنه بهذه النهاية تنتهي القصة ، لتبدأ قصة أخرى هي قصة الكاتبة نفسها فقد أسقط في روعها أن شخصيات قصها حقيقية فراحت بدافع الفضول الجارف تبحث عن تلك السينما قصد مشاهدة الفيلم علها تعثر على بطل قصتها .

والأشد غرابة من هذا أنها اعتقدت في النهاية أنها هي المرأة المعنية بالموعد ولا بد أن تذهب لموعد أعطاه الرجل " صاحب المعطف " الشخصية القصصية لها . وهكذا انتقلت الكاتبة من كتابة الخيال

إلى خيال الكتابة . حيث تماهت الكتابة والحياة عندها فأصبحتا عالما واحدا " دون أن أدري أن الكتابة ، التي هربت إليها من الحياة ، تأخذني منحى انحرافيا نحوها ، وتزج بي في قصة ستصبح صفحة بعد أخرى قصتي " (32) إنها الكتابة الورطة .

ومن هذا تصبح الإجابة عما إذا كانت رواية " فوضى الحواس " رواية مضادة(Antiroman) بالإجابة وتعليل ذلك أن الرواية - الكتابة تطلع القارئ على " كواليس لعملها الأدبي " (33) ومثل هذا الخط الجديد في الكتابة ، يجعل الكتابة تبحث عن الكتابة أو مصطلح النقاد " الرواية على الرواية " (le roman sur le ro- man) (34) .

وهو صورة من صور الرواية المضادة وهذا النوع من النص يعمد إلى إحداث الإحساس بالمفارقة : بحيث يعين التخييل ويكشف ولا يفتأ النص يذكر بأنه نص محذرا من ابرام أي ميثاق سردي " يجعل القارئ يطمئن إلى عالم النص أو يثق في الرواية"(35)

وقد لاحظنا في " فوضى الحواس " كيف أن الراوية تتدخل من حين إلى أخر معلنة أن النص مجرد كتابة وأنه على القارئ أن يعتبر القصة مجرد تخييل فحسب ، " أو لعب تخييلي يجب تميزه عن الشرعية الاجتماعية " (36) .

ولكن الرواية لا تنتهي بانتهاء قصة " صاحب المعطف " بل نجد قصة جديدة تردفها ، إنها حكاية الراوية - الكاتبة - ذاتها . وفي هذه المرة تصبح هي الراوية والشخصية الرئسية - البطلة - في الوقت نفسه وهذه القصة نجدها تغطي ما تبقى من مقاطع الرواية (ص 43 - 375) . حيث نجد الراوية تقوم بتدوين كل ما يقع لها من أحداث وتعيشه من تجارب وأحاسيس وهو المشوار

الذي يبدأ بالبحث عن " صاحب المعطف " بطل قصتها ، ثم مغامرتها مع " عبد الحق " الصحفي والذي رأت فيه بطلا آخر من روايتها " ذاكرة الجسد " إلى أن انكشفت لها الحقيقة وأنه صحفي وهذا بعد مقتله علي يد الإرهاب .

وفي هذه القصة نجد الأحداث التاريخية تمتزج بالأحداث المتخيلة ، يأخذ بعضها في أثر بعض كأنها تيار لا ينقطع مادامت الكتابة فاعلة والتي أصبحت تقلق الكاتبة وتقض مضجعها حتى اختلطت لديها الحقيقة بالخيال .

ولم تجد مخرجا من هذه الحالة المقلقة غير الكف عن الكتابة والإقلاع عنها لأن الكتابة " في هذا البلد بالذات هي التهمة الأولى التي تفقد حياتك بسببها " (37) .

وفي هذا القسم الثاني من الرواية ، قصة الراوية أو الكاتبة نلفى أن الرواية تحرص على " البوح للقارئ بآليات الرواية وهي تنجز " (38) . مثل هذا قول الراوية : " ... كنت لحظتها أواصل الكتابة وأبحث عن الكلمات المناسبة لأصف هذا الموعد العجيب أستعيد في ذهني بعض المقاطع والخواطر من كتاب هنري ميشو ..." (39) . وقد يصل الأمر إلى التعليق حتى على حال الروائي نفسه مثل قولها : فكل روائي هو النهاية يقيم ... ومخلوق عجيب تخلى عن أهله ليخلق لنفسه عائلة وهمية .. (40) وهذا ما يؤكد تصنيف الرواية بأنها " رواية مضادة " فالروائية في حقيقة أمرها تسائل النص الروائي في مظهريه :التخيل والسرد لتفتح باب المناقشة حول " اعتباطية المادة الروائية وهو إشكالة التخيل من جهة وأليات (ميكانيزمات) الوهمية الروائية وهو إشكالية السرد من جهة ثانية " (41) . وهذا ما يعزز فكرة الرواية المضادة مرة أخرى والتي بوساطتها تعبر الكتابة عن موقفها من واقعها وتصوغ رؤيتها لهذا الواقع الاجتماعي .

ا-رؤية الواقع في رواية فوضى الحواس

أصبح الآن لا مندوحة لنا - بعد ما تقدم من خصوصية بناء الخطاب السردي - الاقتناع بأن البحث عن الرؤية الشاملة لرواية " فوضى الحواس " يتطلب الاهتمام بالمضمون الذي تضطلع به الرواية " باعتباره الغاية والهدف الذي يسعى إليه الأديب من وراء إبداعه وتشكليه الفني " (42)

ومضمون الرواية هو محصلة البناء الفني المتكامل والشكل النهائي الذي " يتولد في ذهن القارئ من أفكار وأحاسيس وتجارب نتيجة إدراكه واستيعابه للعمل الفني كوحدة متكاملة بكل حيويتها وحركتها المعبرة " (43) إنها الرؤية الكلية والنظرة الشاملة للرواية نفسها نحو واقعها . وهذا مع اعتبار أن الرواية هي التي تبني واقعها وهو واقع فني ذو مرجعية نصية وإن كان مستمدا منه ، متوكئا عليه . فالخطاب السردي من وظائفه الأساس أن يعيد صياغة الواقع اليومي عن طريق تفجيره وتصعيده والسيطرة عليه من كافة الجوانب التي تحددها رؤيا الكاتب "(44).

إن أحداث رواية " فوضى الحواس " تريد أن ترصد واقع المجتمع الجزائري وماطرأت عليه من تحولات عنيفة سريعة على كل الاصعدة السياسي والاجتماعي بخاصة . وقد امتدت مرحلة التأزم هذه على مدى نهاية الثمانينيات (1988) إلى منتصف التسعينيات . فقد تفاقم الصراع حول السلطة إلى تصادم سياسي عنيف أفرز ظاهرة غريبة عن المجتمع الجزائري خطيرة عليه إلى حد كادت تقضي على وجوده فالضحايا من القتلى يعدون بالآلاف والمتضررون يعدون بالملايين . الخسائر الماديةتحسب بالملايين، والخسائر المادية تحسب بالملايير .

وفي مثل هذه التجربة التي تغدو فيها سلطة الواقع - المرجع المباشر - أكثر بروزا وهيمنة في ذهن المبدع ، فإن التحمس لهذا الواقع قد يجعل الروائي يكتب تحليلا سياسيا تاريخيا أو اجتماعيا وهو يحسب أنه يرمي إلى كتابة رواية التي تحاول الجمع بين الذاتي والمجتمعي و" متضمنة الإحالة على المرجع التاريخي من جهة وحاملة لظلال المتخيل من جهة أخرى " (45) .

والذي يتبدى لنا في رواية " فوضى الحواس " أن الكاتبة سعت إلى إقامة فيها توازن بين البعدين التخييلي والواقعي وبين التجربة الذاتية والمجتمعية .

فإذا بالأحداث السياسية والاجتماعية تتقاطع مع تلك التي تتوالد بفعل الفعل التخييلي . وهذا لأجل رصد أزمة الواقع واستقراء مختلف تجلياتها في المجتمع على أكثر من صعيد"(46) تبعا لرؤية الكاتبة .

وقد استطاع الخطاب السردي أن يحافظ على تجانسه وانسجام مادته بين توقه إلى الانزياح عن الخطاب السردي التقليدي وأن " يلغي الحاجز الوهمي بين العالم المتخيل وعالم الواقع " (47) .

كما حاولت الكاتبة في الوقت نفسه تجنب التقريرية والمباشرة التي تلوح في مواطن من الرواية وهو ما يفسد فنية النص الروائي وينقص شعرية روائيته .

كل هذا يجعل من يريد الكشف عن ملامح رؤية الواقع الاجتماعي التي تضمنها الكاتبة روايتها ، لا مناص له من أن يسأل الكتابة الروائية نفسها والتي نجدها تسائل واقعها وهي تسائل نفسها في الوقت ذاته في عملية تهدف إلى " التعرية للعبة السردية " (48) .

وعلى هذا فإن رواية " فوضى الحواس " لم تكتب لتأكيد واقع معين ، أو تقرر ما حدث إذ تعتبره واقعا ميئوسا منه مسدودة السبيل إلى فهمه أو تجاوزه .

إنما الرواية هنا تطرح فكرة وظيفة الرواية - الكتابية الأدبية أو الأدب - في هذا الواقع وغرضها لا يمكن في " وصف أمين قدر المستطاع للواقع مثلما يظهر لمن يعيه أو يلاحظه " (49) بل أن وظيفة الكتابة الأساس هي " البحث عن تجسيد واقع آخر ذاك الذي يتعلق بالأعماق الشعرية للروح الإنسانية " (50) .

والبحث عن هذه الأعماق الشعرية للروح الإنسانية إنما يكون في جعل الكتابة تتمرد على المساحة المحدودة التي حددت لها بحيث لا تعدوها ولتكون كتابة خالصة لنفسها تصنع عالمها ومتخيلها . وشأن هذه الكتابة المشروطة أن تعمق الشرخ بين الأدبي من جهة والحياة من جهة أخرى .

يبدأ أن الكتابة تسعى إلى إقحام الكتابة في دواليب الحياة ، وتحبذ " التورط الأدبي مع الحياة " (51) . وفي هذه الدعوة لوضع الكتابة إلى نصابها العلمي والوظيفي . ذلك أن الكتابة ليست ترفا بل هي " رغبة تأخذ باهتمام الكاتب عندما يحس بعدم تكيف مع التعبير السالف " (52) ومع الحياة أيضا . ومن هذا فالكتابة حاجة لفهم الحياة ووسيلة للتعبير عن رؤية صاحبها إزاء هذه الحياة والحياة حينئذ هي المصدر وهي المنتهى .

وهذا التصور نقد للسائد من الكتابة ومحاولة تأسيس لكتابة جديدة لا تهدد القارئ ويغويه متخيلها بل تقض مضجعه " كنت أحلم بكتابة كتاب واحد ... يدخل في حياة القارئ حد منعه من النوم وجعله يعيد النظر في حياته " (53) . وهذا يدل على أن النص الروائي يتعرض إلى التفكيك وهو ينكتب من خلال تلك

الوقفات النقدية التي تتعمد الكتابة إلى إدراجها بين أحداث الرواية سعيا منها لتكسير السرد .

إن الكتابة تنطلق في وضع أسلوب جديد للكتابة ووظيفة الحياتية لها ، كتابة تورط صاحبها وتجعله عبدا لها ، كتابة تقف في وجه " عبثية الموت " (54) ويستعان بها على الخوف . وهي الكتابة التي تجلب الويل لصاحبها ... إنها جريمة عقابها الموت وتصبح النجاة في الإقلاع عن ممارسة الكتابة والشفاء من جريمة عقابها الموت . وتصبح النجاة في الإقلاع عن ممارسة الكتابة والشفاء من أعراضها فليس أحسن من " أن أقوم بمحاولة اكتشاف فضائل الجهل ونعمة أن تكون أميا في مواجهة الحب ، وفي مواجهة الموت وفي مواجهة العالم " (55) طالما أن للكتابة واجبا هو" البحث عن الحقيقة " (56) وهذا من طبيعتها الجوهرية . وليس للكاتب أن ينسحب من عالمه فهو " شاء أم أبى ملتزم بقضايا عصره " (57) وأي تغيير يريده لمجتمعه فهو يجسد بداية الأشكال السردية والتخييلية قبل ذلك .

وهناك ملمح آخر يضاف إلى ملامح رؤية الكاتبة لواقعها الاجتماعي وهو الكيفية التي تعرض بها الأحداث.ولقد مر بنا كيف أن الكاتبة قدمت بين يدي روايتها قصة قصيرة أو نصا قصصيا بعنوان " صاحب المعطف " وقد اتبعته بنص أطول منه هو قصتها نفسها .

وقد بررت هذا بأن الحقيقة هي في خوض غمار الحياة لا في ذلك العالم المتخيل الذي يؤطره " البناء المتصنع العذوبة ، المفتعل... " (58) ولذلك نلفى أن الكتابة تحولت في القسم الثاني إلى سيرة ذاتية استحالت فيها الراوية - الكاتبة - إلى شاهدة على ما يحدث في الواقع الاجتماعي . وهذا ما يسمح لها بالتعامل

مع المادة التاريخية والسياسية بتحيينها وجعلها تتواءم مع نسيج الأحداث الأخرى مما يعطي القارئ الإيهام ب" حضور العالم الموضوعي " (59) . كما يسمح بالتعامل مع التاريخ بطريقة حوارية يغدو بها مادة للتفكير والنقاش قبولا ورفضا لا مادة مثبتة في الزمن .

ولهذه نجد الكاتبة وهي تسرد علينا جانبا من حياة الرئيس - المغتال - " محمد بوضياف " وهذا منذ أن " أشعل ذات نوفمبر سنة 1954 الشرارة الأولى للثورة التحريرية " (60) إلى " إلقاء القبض عليه هو ورفاقه (بعد) خطف طائرتهم سنة 1956 (61) فالمنفى سنة 1965 إلى عودته يوم 14 يناير 1992 ... (62) وتنهي هذا الحديث عن " بوضياف بمقطع " يمتزج فيه التاريخ بالموقف منه بالوظيفة السردية الشعرية للخطاب :

" ... رجل منذ نزوله من الطائرة يعلن الحرب على من سطوا على مستقبلنا . وبنو جهاتهم بإذلال وطن .

يقول : " الجزائر قبل كل شيئ " فيوقظ فينا الكبرياء .

وتصبح كلماته البسيطة شعارنا . قطعا ... منذ الأزل كنا ننتظر بوضياف ولن أن يدري ولكن " كل هذه الحفاوة لن تمنعهم من اغتيالي .. فلا ثقة لي في هؤلاء "

وعندما سألته إن كان جاء إذن بنية الانتحار أجابها ممن لا مفر له من قدر " إنه الواجب ... كل أملي أن يمهلوني بعض الوقت"(63) .

إن الخطاب الروائي في رواية " فوضى الحواس " يحاول أن يقدم إجابات تنبع من ذات تبحث عن نفسها وعن موقعها في مجتمع فقد كل قيمة .

وقد أخذت الكتابة على عاتقها إسقاط رؤية متشائمة من هذا

الواقع إلى حد السوداوية يعززها (الإحساس بعدم تلاؤم الذات مع نفسها وعدم تناغمها وعالمها الخارجي " (64) .

غير أن أزمة الذات ، الهوية ، الوطن وإن أعلنت الكاتبة عن عجز تجاوزها لم تعدم مخرجا يتغير على إثره الواقع . فإنها ركزت على تجسيد وتمثيل مجتمع متصدع ، ممزق يكاد ينسلخ عن مبادئه المشكلة لهويته وانسجامه ليتحلل في واقع دموي قاتل .

وهذا ما جعل " فوضى الحواس " ذات خطاب سردي منزاح عما هو مألوف وسائد من الكتابة الروائية الجزائرية وحتى العربية . جعلها علامة مميزة في المتن الروائي الجزائري المعاصر ووظيفة الرواية ليست أن تقدم وصفا موضوعيا للحقيقة بقدر ما تعبر عن رؤية للعالم التي يضطلع بها النص الروائي " وهي التي تفهمه وتدركه وتضعه في إطاره الاجتماعي المتميز " (65) .

فرواية " فوضى الحواس " بما تطرقت له من مضامين مرتبطة بالواقع الاجتماعي الجزائري في فترة التسعنيات تعد خطوة نوعية للرواية الجزائرية المعاصرة ذات النزوع الحداثي فهي " بطبيعتها غير قابلة للتقنين إنها جنس يبحث بشكل دائم ويحلل ذاته أبدا " (66) .

وهذا يختلف عن تلك الروايات التي ألفت أن تكون إبلاغية بالدرجة الأولى حيث اضطلعت - في معظمها - بالحديث عن الثورة التحريرية أو الثورة الزراعية وقليلا منها ما جنحت إلى قضايا المجتمع المجسدة . لكن الوضع السياسي والاجتماعي الذي أفرزته أحداث أكتوبر 1988 وما تبعه من أحداث مآساوية جراء ظهور العنف الدموي وجدت الرواية الجزائرية نفسها عاجزة عن استيعاب هذا الواقع وتمثله وما بين أيديها من أدوات أصبح غير ملائم كذلك .

وهذا طبعا حال الكتاب والروائيين الذين وصل بهم الوعي إلى درجة الحساسية بالتغيير الاجتماعي وبجوهره على الخصوص وتلك هي " حركية العمل الأدبي " (67)

وهكذا أصبحت الكتابة الروائية - على الخصوص - عند هؤلاء الكتاب كتابة لوجود فهي الشكل وهي المضمون وهي الواقع كذلك وغدت الكيفية التي يبنى بها شكل الخطاب هي مدلوله وهويته وتبقى في آخر الأمر هوية الرواية مرتبطة بروائيتها أي " أن تتميز الرواية بلغة روائية خاصة هي هويتها " (68) وهي الهوية التي تترشح خلالها المواقف والرؤى الفكرية .

الهوامش

(1) - ينظر : بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي . المغاربية للطباعة والنشر . تونس . ط1 / 1999

(2) - عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث . المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1983 ص 198 .

(3) - عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1995 . ص 196

(4) ينظر : عبد المالك مرتاض : فنون النثر الأدبي في الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1983 . ص 196 وما بعدها .

(5) - بوشوشة بن جمعة : مباحث في رواية المغرب العربي . منشورات سعيدان ، سوسة ، تونس 1996 . ص 29 .

6) ينظر على سبيل المثال Gerard Genette et autres : Theoire des genres , Seuil France Henri Mitterand : Le roman a loeuvre genede et valeurs , PUF France 1998 , 1986

(7) مصطفى فاسي : دراسات في الراوية الجزائرية . دار القصبة . الجزائر 1999 . ص 3

(8) - الإيداع والثقافة والسلطة . عمار بلحسن ، مجلة التبيين عدد 7 . 1993 ص ص 157 - 1966 .

(9) مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي . بوشوشة بن جمعة مجلة الآداب . جامعة قسنطينة ع 02 / 1995 . صص 179 - 200

(10) عبد الفتاح عثمان : الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع .الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .مصر.1993ص 8 .

(11) - عمر بن قينة : تأسيس الرواية الجزائرية في الأدب الجزائري الحديث : مرجع سابق . صص 195 - وما بعدها .

(12)-بوشوشة بن جمعة:مباحث في رواية المغرب العربي . ص 5 .

(13) - واسيني العرج : اتجاهات رواية العربية في الجزائر . ص 89

(14) - يمنى العيد : الكتابة تحول في التحول . دار الآداب، . بيروت . لبنان . ط 1 / 1993 . ص 40

(15) أثر الإرهاب في الكتابة الروائية . مخلوف عامر مجلة عالم الفكر . العدد 9 / 1999 . ص ص 303 - 320

(16) أشكال المعمار الفني في الرواية العربية الجديدة . عبد الرحمن بوعلى . مجلة علامات في النقد . عدد 33 صص 89 - 110

(17) - نفسه . ص 91

(18) - ينظر : جان ريكاردو : قضايا الرواية الحديثة . ترك صياح الجهيم . منشورات وزارة الثقافة . سوريا 1977 .

pierre van berge Pourquoi le roman ? - 19

p 171

Nouvelle fiction par France Berthetot 20

magazine n : 392 pp 30-31

(21) أشكال المعمار الفني في الرواية العربية الجديدة . عبد الرحمان بوعلي . م . س . ص 89

(22) - pierre Vamabergan : Opcit , 174

Dominique Rabate : le roman Francais de Puis - 23

, P , U , F France 1998 p 81 , in jean Richard 1900

: problemes du nouveau roman ,

(24) - أحلام مستغانمي : فوضى الحواس . دار الآداب بيروت لبنان . ط7 / 1999

(25) - ينظر : Pierre Van bergen : pourqoui le ro-

man , p 180

(26) - فوضي الحواس . ص 23

(27) - فوضى الحواس ص 23

(28) - فوضى الحواس ص 27 - 28

(29) - فوضي الحواس . ص 28

(30) - فوضى الحواس . ص 28 .

31) - فوضى الحواس . ص 31 .

(32) - فوضى الحواس ص 39 .

Gilles philippe les roman . P. U. F. France - 33

, p 10 1998

Pierre Vanbergen . Opcit . p 115 - 34

Ibid . p 11 . 35-

j. M , S CHaeffer : Pourquoi la fiction . Ed . - 36

Seuil France 2000 . p 235

(37) - فوضى الحواس . ص 371 .

38 - Gilles philipe : le roman opcit p 9 .

(39) - فوضى الحواس . ص 361

(40) - فوضى الحواس . ص 274

41 - Gilles philipe opcit p 10

(42) جدلية الشكل والمضمون في النقد العربي المعاصر ، عمار زعموش ، مجلة الآداب معهد الادب جامعة قسنطينة ، الجزائر . العدد الثاني 1995 . ص 146

(43) - نفسه . ص 124

(44) - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي . ص 596

(45) - فوضى الحواس . ص 104

(46) - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي . ص 241 .

(47) - حسين خمري : سلطة الحكي . مطبوعة الملتقى الثاني " من أدب عبد الحميد بن هدوقة " برج بوعريج 1999 . ص 117

(48) - نفسه .

49 - Francois Bertlat : la nouvelle fiction , magazine litteraire
n 392 / 11 / 2000 . p 30 .

50 - Ibid

(51) - فوضى الحواس . ص 308

52 - Michel Butor : La Modofication . p 47

(53) - فوضى الحواس . ص 309

(54) - فوضى الحواس . ص340

(55) - فوضى الحواس . ص 371 - 372

(56) فوضى الحواس . ص 41

57 - Pierre Vanbergen : opcit . p 183 .

(58) - ينظر : Michail Bakhine : estethique et theorie du roman .Gallmard,France 1978 pp 175 - 1977

(59)ر.م ألبريس-تاريخ الرواية الحديثة.ت.جورج سالم.منشورات عويدات.بيروت.لبنان.ط2.1982.ص439

(60) - فوضى الحواس . ص 240

(61) - فوضى الحواس . ص 240

(62) - فوضى الحواس . ص 243

(63) - فوضى الحواس . ص 244

64 - p . Vanbergen : pourquoi le roman ? p 108

(65) - محمد غراب : فضاء النص الروائي ، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان . ص 49

(66) - ميخائيل باختين : الملحمة والرواية . ترجمة شحيد . معهد الانتماء العربي ، بيروت . لبنان 1982 ص 66

(67) - شكري محمد عياد : دائرة الإبداع . دار إيليس العصرية القاهرة مصر ط 1 / 1986 . ص 63 .

(68) - يمنى العيد : فن الرواية العربية . ص 57